خلاصة المتون

في

أنباء ونبلاء اليمن الميمون

للسيد العلامة المؤرخ الشهير

محمد بن محمد بن يحيى زبارة

الجزء الرابع

من سنة ١٠٠١ إلى ١٠٧٤هـ

أيام الإمام القاسم بن محمد وبنيه

تنويه:

جاء عنوان الكتاب في الأجزاء السابقة هكذا (خلاصة المتون في أبناء ونبلاء اليمن الميمون) وهو خطأ من المطابع وقع أثناء تصميم الغلاف، وقد تم تصحيحه في هذا الجزء.



مركز التراث والبحوث اليمني

ومن شعر الإمام القاسم قصيدته التي وسمها (باستفتاح الفرج) قالها أيام اختفائه وتخوّفه من الأتراك:

يا ملجأً للخائف المختار[١] يا من يغيث مشرَّدا قد طارا
يا حي يا قيوم يا غوث الذي يشكو إليك من الذي قد جارا
يا من يجير بفضله مستضعَفاً مستصرخاً متضرعاً لك جارا
يا من يجير ولا يجار عليه في سلطانه يا قاصماً جبارا
يا من هو الله الشديد محالُه يا قادراً يا عالماً قهارا
يا من تنزه أن نراه بناظر يا من يحيط ويدرك الأبصارا
يا أولاً يا آخراً يا ظاهراً يا باطناً يا عالماً أسرارا
يا واحداً يا دائماً يا باقيا يا من أبان عجائباً وأثارا
يا بارئَ الصنع العجيب بحكمة حيّاً يُحسُّ وجامداً وبحارا
يا نافخ الأرواح في أشباحها ومقدِّراً لبقائها مقدارا
يا مُحييَ الأموات بعد فنائهم لجزائهم نعم الجنان ونارا
يامن بنى السبعَ الشِداد ومن دحى الأرض المهادَ ونوَّر الأنوارا
يا من أدار بأمره في ملكه فلَكاً مطيعاً مظلماً ونهارا
يا مرسياً شم الجبال بأرضه ومُسَيِّراً في غورها الزخَّارا
يا مرسلاً ذُلُلَ الرياح لواقحاً فتثير من موج السحاب غزارا
يا منشئاً جوف السحاب عجائباً برقاً يلوح ووابلاً مِغزاراً
يا منزل الغيث الهنيء تفضُّلاً لعباده يا مجرياً أنهاراً
يا مُنبِتَ الأصنافِ من شجرٍ ومن نجم ويا من أثمر الأثمارا
يا من حوائج خلقه من عنده تُقضَى ويغني البائسَ المعسارا

(١) منصوب على الاختصاص.

يا من تعفرت الجباهُ تواضعاً لجلاله صار العظامُ حقارا
يا من إذا وقف الطريدُ ببابه يشكو يفرج كَربَه الكُبَّارا
يا من إذا المضطرُّ أجهده البلا فدعاه يكشف فادحاً ضرًّارا
يا رب يا حنان يا منان يا رحمان يا ديان يا جبارا
يشكو عُبَيْدُك بعد أن نزلت به دهما تَسَعَّر حرُّها إسعارا
يشكو إليك من الذين تجبَّروا يبغون فجعة مؤمن ودمارا
يشكو شكاية محرق مستضعف كثرتْ جنودُ عدوِّه فتجارَى
كبراؤهم مُتجَبِّرون فأشبهوا فرعونَ أوهامانَه الكُفَّارا
يشكو إليك جميعَهم أمراءهم وجنودَهم والظالم الجوَّارا
ومُحيطَهم أهلَ الغواية إنهم قد زوَّروا من إفكهم أخبارا
يغرونهم بقرابة لمحمد حتى أخافوا صبيةً وكبارا
لا يرتجون لحل ما نزلت بهم أحداً سواك أتوا إليك فرارا
وقفوا ببابك طالبين لنفحة تُطفي حرارة مُحرَق محرارا
فبحق ذاتك يا مُغيثَ عُبَيدِك المضطر ممن قد أراد ضرارا
وبحق حقك يا رحيم برحمة رادفتها بتفضلٍ مدرارا
بجلالك الأعلى بما يختص من كرمٍ أضاءَ بهاؤها وأنارا
وبكلما سميت نفسَك طيباً بعظيمها أدعو خفاً وجهارا
بكتابك الهادي بما أظهرته من نوره لهدايةٍ إظهارا
وبحرمة السبع المثاني إنها نورٌ أضاءَ لنا ولن يَتوارَى
وبحرمة السُوَر التي ضمنتها أعلَى الكلام فحيَّر الأفكارا
وبكل حرمة آية أنزلتها أدعو بها الإعلان والإسرارا
بملائك لا يفترون عبادة عَدُّوا زمانَ طِوالِ ذاك قصارا
وبجبرئيل أمين وحيك والذي اخترته ليدمِّر الكفارا

وبحق ميكائيل صاحب قسمة الأرزاق والمستغفر استغفارا

وبحق إسرافيل ذي الصور الذي ... أقدرته من قدرةٍ إقدارا

ببديع فطرتك الذي أكرمته ... بسجود من لا يكسب الأوزارا

وبحق إدريس الذي أوليته ... أسنَى مكانٍ رفعةً وقرارا

وبنوحٍ الناجي على ألواحه ... لما رأى تُنُّورَهم قد فارا

وبهودٍ المختار والنصاح بالـ ... أحقاف ينذر قومه إنذارا

وبحق صالحٍ الذي أرسلته ... لهُدَى ثمودَ فأنكروا إنكارا

بخليلك الباني لبيتك والذي ... كَسَرَ الصليبَ بفأسه كِسَّارا

وبلوطٍ الساري بليلة أمطرت ... شرَّ القرى بعد السُّرَى أحجارا

وبحق إسماعيل صادق وعده الـ ... معطي لذبح نفيسه مختارا

وبحق إسحاقٍ ويعقوبَ ابنِه الـ ... مُجري بحزنٍ دمعَه المطَّارا

بجماعة الأسباط يوسف والألى ... تابوا فحطوا عنهم الآصارا

بشعيبَ والأوابِ أيوب الذي ... فيما ابتليت وجدتَه صبارا

بكليمك المختار موسى والذي ... لمجيئه أنشأته أنوارا

بأخيه هارون الزكي بيوشعٍ ... بعُزيرَ أسأل جهرةً وسِرارا

وبحق داود الذي آتيته ... فصلَ الخطاب وحكمةً ووقارا

بسليله أعني سليمانَ الذي ... ملَّكته الثقلين والأقطارا

وبإرميا وبإشعيا بكرامة الـ ... خَضِر الذي عمَّرته أعمارا

وبحق إلياسٍ ويونس بعده ... واليسَعَ حيث جعلتهم أخيارا

وبحق يحيى بالزكي أبيه من ... وضع الطغاةُ برأسه المِنشارا

وبروحك الزاكي المسيح بأمه ... الآيتين لمن يشاء نِظارا

وبحق لقمان الحكيم وفتيةٍ ... بالكهف نالوا من لدنك جوارا

وبخاتم الرسل الكرام محمد ... ساد الهداةَ الرسلَ والأخيارا

أكـــرم بخـــير المرســـلين محمـــد ... أكـــرم بـــه في المرســـلين خيـــارا
أكرم بـــه مـــن مرســـل أكـــرم بـــه ... مـــن طيـــب فرعـــاً لـــه ونجـــارا
أكرم بـــه مـــن طـــاهر أكـــرم بـــه ... مـــن صـــادق أكـــرم بـــه مختـــارا
جـــدي الـــذي أرســـلته والنـــاسُ في ... قفـــر الضـــلالة تـــائهون حيـــارى
فأتـــاهمُ بـــالمعجزات شـــواهداً ... أعطـــى المـــلا برهانـــك النـــوّارا
ودعا لـــدينك ناصـــحاً حـــتى أتـــى ... بالسيف يضرب مـــن بغَـــى الإدبـــارا
حتى أمـــات الشـــرك بعـــد حياتـــه ... وأنـــار مـــن سُـــبُل النجـــاة منـــارا
وأقـــام دينـــك قيِّمـــاً بعزيمـــة ... لـــو ســـلّها لأذابـــت الأحجـــارا
فأشـــاد أركـــان الشـــريعة بالـــذي ... اخترتـــه ليُـــدمِّرَ الكفـــارا
بأخيـــه حامـــل علمـــه ووصـــيِّه ... أعـــني الشـــجاعَ الصـــائل الكـــرّارا
جدي علياً خيرَ مـــن وطِـــئَ الثـــرَى ... بعـــد النبـــيين الفـــتى المِغْـــوارا
بالطـــاهر الحســـن الكـــريم وصـــنوه ... أعـــني الحســـينَ الســـبط والمـــبرارا
وبفـــاطم الزهـــراء بنـــت محمـــد ... خـــير النســـاء كرامـــةً وطهـــارا
وبحـــق حمـــزةِ الشـــهيد وجعفـــر ... أكـــرم بـــه في جنـــة طيـــارا
وبحـــق عبـــاس وحـــق ســـليله ... بحـــر العلـــوم الزاخـــر التيـــارا
بجماعـــة الآل الكـــرام جمـــيعهم ... ســـفُن النجـــاة القـــادة الأطهـــارا(١)
قرنـــاء وحيـــك يـــا إلهـــي والألى ... صـــاروا لملـــة جـــدهم أنصـــارا
بصـــحابة صـــحبوا الـــنبي ووفـــروا ... أجـــر الـــنبي محمـــد وِفْـــارا
وبكـــل عبـــد في البريـــة صـــالح ... خضـــعوا لجاهـــك خفيـــة وجهـــارا
بالكعبـــة البيـــت الحـــرام وركنـــه ... ومقـــام مـــن عمـــر العتيـــق وزارا
وبزمـــزم والمـــروتين ومشـــعر ... ومواقـــف أكـــرم بهـــن مـــزارا

(١) نصبت على الاختصاص.

أن تكشف السوءَ الذي قـد حـلَّ بي وبصـــبيتي والمـــؤمنين وثـــارا
أربي قريباً ما وعدت عُبَيـدَك الـــ ـــمضطر غوثـــاً مســرعاً نظـــارا
نحن الذين إليـك يـا رب التجـوا ممن طغَـى أو مـن بغَـى الإضـرارا
اجعَـل دعـائي موصَـلاً بإجابـة وانظـر إلينـا واكفنـا الأشـرارا
فـرِّق جمـوع المـبطلين وحـوِّلنْ إقبـالهم يـا سـيدي إدبـارا
أسـرع ولا تقطـع رجـائي إنـني لمـا أزل لـك راجيـاً نظـارا
وعلـى الملائـك كلـهم والأنبيـا أبـداً صـلاتك مكثـراً إكثـارا
واخصص محمداً الأمـينَ بخـير مـا آتيـت رسـلَك طيبـاً مِكْثـارا
وعلـى كـرام الآل آلِ فُرْعـوا من خير من ركـب المطـيَّ وسـارا
واغفـر لنـا والمـؤمنين ذنوبنـا إنـا طلبنـا راحمـاً غفّـارا

ومن شعر الإمام القاسم هذه الأبيات كتبها على سيفه:

ألا ذا قاسـمُ الهامـات يـدعو بلسن الحـال يـا مـولاي قاسـم
إذا كـان السـيوف لهـا حقـوق فما حقي سوى ضـرب الجمـاجم
جمـاجم كـل جبـار عنيـد ومَيَّـالٍ إلى الطغيـان ظـالم

وأشعاره ورسائله ومصنفاته كثيرة.

بعد أن نقلت من الرسالة الجامعية لأميرة علي المداح من (سنة ١٠٠٩هـ) عدت إلى تأمل الرسالة من أولها، فاستحسنت النقل من أولها لإحاطتها بكتب التاريخ اليمنية، فقد تيسَّرت لها حتى الخطِّيَّة أجمع ولخَّصَتْها أحسن تلخيص بعد تعبها في قـراءَة الخطـوط السقيمة.

مما قالته:

كان والد الإمام القاسم يعمل في عسكر المطهر بن شرف الدين، خاض معه حروباً كثيرة ضد الباشا سنان وغيره، فرأى القاسم منذ صغره هذه الحـروبَ ورأى في أبيـه المجاهدَ الشجاعَ الذي وقف يقاتل للدفاع عن مذهبه الزيدي وأرضه اليمنية.